ومتحجرة » . ولا يعفي سارتر التروتسكيين من النقد في هذا الصدد ، لان معارضتهم للحركة الشيوعية تنطلق من نفس الاسلوب اللاتحليلي للاحداث الملموسة ، بل تستعمل الاحداث لتأكيد المفاهيم النظرية (ص ٣٤) . «فاليوم ، تقع التجربة الاجتماعية والتاريخية خارج المعرفة . فالمفاهيم البرجوازية لا تتجدد وتهترىء بسرعة ، وما يبقى منها تنقصه الاسس : فالمكتسبات الحقيقية لعلم الاجتماع الامريكي لا تستطيع تغطية ضعفه النظري . فبعد انطلاق صاروخي ، توقف علم النفس عن التطور » . (ص ٤١) . « وفي وجه هذا الجهل المزدوج ، استطاعت الوجودية ان تنبعث وتستمر لانها تؤكد واقع الانسان ... فالوجودية والماركسية تعملان في اتجاه واحد ، لكن الثانية احتوت الانسان في الفكرة بينما تبحث الاولى عنه حيثما كان ، في عمله ، في منزله او في الشارع » . (ص ٤٢) .

هذا باختصار شديد وعمومية موقف سارتر الفلسفي السياسي حاليا . وليس من شك ان كلمات قليلة كهذه لا تكفي لايفاء نظرة سارتر **وتطورها** عبر السنين حقها . الا انها تشكل اطارا نستطيع ان ننظر منه بشكل اوضح الى مواقف سارتر السياسية وبالذات لموقفه في قضية فلسطين (ونكرر اننا لسنا هنا بصدد الحكم على مواقف سارتر العامة وتقييم دورها الموضوعي ايجابا أو سلبا) .

هذه الرؤية العامة انعكست اذا في مواقف سارتر السياسية ، وبشكل واضح في نظرته للمشكلة اليهودية . ففي كتابه عن الموضوع (« المسألة اليهودية » دار غاليمار) ، اوضح سارتر موقفه كالتالي : اللاسامي ينظر الى اليهودي كانسان ذي خصائص شكلية واخلاقية محددة ، « والديموقراطي » من جانب آخر يدافع عن وجهة النظر الدمجية (أي ان اليهودي انسان كالآخرين وليس له خصائص مميزة) ، والاثنان برأي سارتر مخطئان ، فهو يرى ان انصاف اليهودي لن يكون الا بالاعتراف بحقه ليس فقط في العيش في بلد نشأته او اختياره وانما بحقه في التميز والاحتفاظ بخصائصه وشخصيته . وينهي كتابه بعبارته الشهيرة : « طالما وجد يهودي لا يمارس كافة حقوقه ، فلن يكون هناك انسان حر في فرنسا . ولن يكون هناك فرنسي آمن ، اذا وجد في فرنسا او في العالم يهودي يخشى على حياته » .

هذه المواقف تعكس حرص سارتر على الدفاع عن حرية اختيار الفرد لهويته ومصيره في موضوع محدد (التزم سارتر منذ فترة طويلة في الدفاع عن وجهة نظره فيه) . والكتاب (الذي صدر قبل خلق دولة اسرائيل) يظهر مدى حساسية سارتر للمشكلة اليهودية التي يعتبرها مشكلته كفرنسي واوروبي ، ومدى تأثيرها على مواقفه اللاحقة في المسألة الفلسطينية . وقد اكد ذلك في كل المناسبات التي التقى فيها بطرف فلسطيني أو عربي. وليس من الصعب فهم اسباب هذه الحساسية ، فالى جانب الموقف الفلسفي ، كانت المشكلة اليهودية بالنسبة لسارتر مشكلة ملموسة ، فقد عاش الاحتلال الالماني ، والتفرقة العنصرية والاضطهاد ضد اليهود ، ورأى العديد من معارفه اليهود يسيرون نحو معسكرات الاعتقال النازية . وبين معاونيه والمقربين منه — حتى الان — عدد من الفرنسيين اليهود .

وهذا يفسر رد فعل سارتر حين زار اسرائيل في آذار ١٩٦٧ . فهو لم ير في السكان (الذين بنوا دولتهم على حساب شعب فلسطين بوسائل لا تختلف من حيث الكيف عن الاساليب النازية نفسها) الا يهود معسكرات الاعتقال ويهود الغيتو والاضطهاد اللاسامي . ففي مؤتمر صحفي عقده في تل ابيب في ٣٠ آذار ١٩٦٧ قال : « ان اسرائيل هي البلد الوحيد في العالم الذي نستطيع نعت الانسان فيه بأنه يهودي دون ان نكون لاساميين . عندما يقال عن استاذ جامعي عندنا انه يهودي ، لا استطيع الا ان افكر ان